# 10

# طلاب في قناة السويس .. الهجرة في عيون المراهقين

كان من بين اللاجئين الروس الذين تم ترحيلهم من نوفوروسيسك ، علي أيدي الإنجليز في ربيع عام ١٩٢٠ مجموعة معينه ، وهم طلاب فيلق الدون [٣٢١] والذين ظلوا على الأراضي المصرية لفترة من الزمن ، إمتدت إلى أكثر من عامين . وهى فترة تسترعي الاهتمام ، لكن الأمر المثير للاهتمام أن هؤلاء الشباب المراهق قد استقبلوا فكرة نفيهم بطريقة مختلفة تماما عن باقي اللاجئين البالغين . فالنفي بالنسبة لهؤلاء الشباب كان مغامرة ممتعة ، ولم يمثل لهم في حقيقة الأمر مأساة. " لقد عاشوا في وضع جيد في مصر لقرابة ثلاث سنوات [٣٢٢] ، وكانوا يسبحون خلالها في مياه قناة السويس ويأكلون البلح، وأصيب أحد هؤلاء الطلاب بطلق ناري ، ولقى طالبين وضابط مصرعهم ، فيما اندلعت بعض الحرائق، وبالرغم من ذلك ، فقد أمضوا السنوات الثلاث في حالة جيدة ، وذلك كما يتذكر الطالب أ.بالاشوف في عام ١٩٢٣ . ولكنهم اضطروا في النهاية إلى مغادرة مصر علي غير رغبتهم" [٣٢٣] .

---

٣٢١ عن مقالة : Кадеты на Суэцком канале. Эмиграция глазами подростков ، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى» ، ٢٠٠٨، عدد ١٨، للمستشرق الروسي Vladimir Belyakov . تأسس فيلق تلاميذ المدارس العسكرية بالدون في نوفاتشيركاس في عام ١٨٨٣ بناءً علي قرار الإمبراطور ألكسندر الثالث ، وبعد مصرع الإمبراطور في ٢٠ نوفمبر ١٨٩٤ ، تغير اسم ذلك الفيلق ليصبح «طلاب الإمبراطور ألكسندر الثالث بالدون «وفي ديسمبر ١٩١٩ ، تم نقله إلي نوفوروسيسك ، وذلك خوفاً من خطر إستيلاء كتائب الجيش الأحمر عليه . أنظر الهجرة الروسية في أوروبا ١٩٢٠-١٩٣٠ ، سانت بطرسبورج ، ٢٠٠٥ صـ ٢٢٦ .

٣٢٢ عاشوا بالفعل عامين وثلاثة شهور من مارس/ آذار ١٩٢٠ إلى يونيو / حزيران ١٩٢٢ .

٣٢٣ «أبناء الهجرة الروسية» ، موسكو ، ١٩٩٧ ، صـ ٢٠٦ .

تم نقل هذا الفيلق من نوفوروسيسك إلى الإسكندرية على متن سفينة "ساراتوف"، مثلهم مثل غالبية اللاجئين المدنيين. ويتذكر، ن. فاروبيف، الذي كان صبياً صغيراً في الثانية عشرة من عمره في ذلك الوقت: " أن الطلاب واللاجئين المسنيين والأطفال والمصابين والمرضى كانوا يشغلون أرجاء السفينة، وكان الطعام على متن السفينة رديئا، والبسكويت يرتع فيه الدود. وينظر الصغار بعين الحسد إلى الأغنياء، الذين ظهرت عندهم فجأه علب كبيرة من معلبات إسترالية، تحتوى على لحم الأرانب المعلبة، فقد كان الصغار يشتهونها ويريدون أن ينالوا بعضاً منها ... كانت الانطباعات جديدة، بالإضافه إلى البحر، وأشياء كثيرة لم يشاهدونها من قبل، وكذلك حاله الإضطراب العامة، فضلا عن الشائعات، .... والقمل ..." [٣٢٤]

بعد أن قضى الطلاب أسبوعين في الحجر الصحي بالإسكندرية، نُقلوا إلى " المعسكر الروسي" في التل الكبير[٣٢٥]، الواقع بين القاهرة والاسماعيلية، حيث كانت " الحياة هناك أشبه بنعيم الجنة" – كما يتذكر أحد الطلاب ذو السابعة عشرة ربيعاً من عمره آنذاك في عام ١٩٢٣ : " كان الطعام متوفراً وتستطيع أن تأكل قدر ماتريد، وكنا نعيش في مخيمات، وبصفة عامة مضت الأيام بسلاسة وعلى نحو جيد ." [٣٢٦].

إلا أن هذه الحياة الرغدة لم تدم سوى شهر واحد فقط، حيث قرر مدير الفرقة الجنرال ألكسندر فاسيليفيتش تشيرياتشوكين، أن يقوم الإنجليز الذين استقبلوا اللاجئين الروس بنقل الفرقة إلي معسكر خاص. فقد رأي تشيرياتشوكين أن مجاورة أفراد تلك الفرقة للاجئين المسنيين في معسكر التل الكبير، تنطوي على مصادر لاتنضب من الإغواءات والتأثيرات السلبية على الشباب" [٣٢٧]. وأصبح الموقع الجديد لإقامة فيلق الدون أحد المخيمات على شاطيء بحيرة التمساح المواجهة للاسماعيلية.

٣٢٤ ذكريات تلاميذ المدارس العسكرية بالدون، مدريد ١٩٧٤، صـ ١٨٨.

٣٢٥ ترحيل اللاجئين الروس من نوفوروسيسك إلي التل الكبير، أنظر كتاب فلاديمير بيلياكوف «نحو شواطئ النيل المقدس» و «الروس في مصر»، موسكو ٢٠٠٣، صـ ١٣٦ : صـ١٦١.

٣٢٦ أطفال الهجرة الروسية، صـ ٣٣٩.

٣٢٧ جونتشاروف يوري، ذكريات عن فرقة تلاميذ الدون في مصر // أفريقيا في عيون المهاجرين، موسكو، ٢٠٠٢، صـ ١٩.

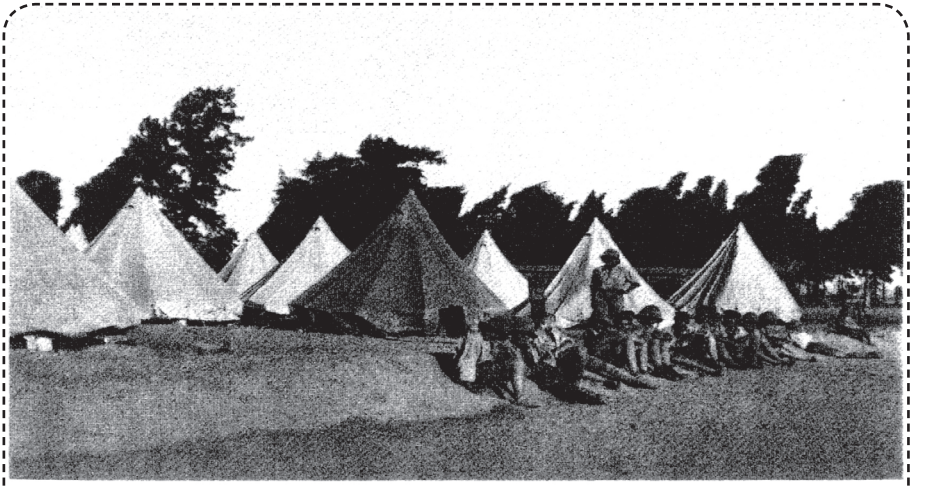

Лагерь Донского кадетского корпуса под Исмаилией. 1920 год.

**صورة توضح شكل الخيام داخل معسكر طلاب المدارس العسكرية بالدون ، والذي كان يقع بالقرب من مدينة الاسماعيلية**

يتذكر أ. بليشاكوف أحد طلاب تلك الفرقة فيقول : " كان المعسكر يوجد في مكان جميل على مشارف المدينة ، وكان أمامه طريق طويل يبلغ عرض من خمس إلى ست ساجين (ياردات) ، وفي نهايته تبدأ بحيرة التمساح التي تمر بها قناة السويس . وكانت قناة السويس تبعد عنا حوالي نصف ميل ، وفي الخلف تظهر الصحراء[٣٢٨] التي يمتد بها خط سكة حديد ، ثم تعاود الصحراء الليبية اللانهائيه الظهور من جديد خلف السكة الحديد ، وعلى الجهة اليمنى نرى المدينة ومن خلفها مساحة غنية من أشجار النخيل . وخلف النخيل يبدأ منحنى قناة السويس . لقد وضعونا بالفعل في مكان رائع للغاية " [٣٢٩] .

كان المعسكر يتألف من خيام مخروطية الشكل ، وكانت مزدحمة بطبيعة الحال ، حيث كان يسكن في أول الأمر داخل كل خيمة سبعة طلاب ، مما أجبر الإنجليز على إقامة خيام أخرى ؛ لكي يعيش بالخيمة الواحدة أربعة أفراد فقط [٣٣٠] .

٣٢٨ عدم دقة : حيث يطلق على تلك الصحراء التي تمتد من غرب وادي النيل بالصحراء الليبية ، وفي شرق النيل كان يقع ذلك المعسكر وهنا تمتد الصحراءالعربية .

٣٢٩ أطفال الهجرة الروسية ، صـ ١٩٤ .

٣٣٠ المرجع السابق ، صـ ١٩٣ .

وضم المعسكر ٢٨٦ من طلاب الفيلق من مختلف الأعمار.هذا إلي جانب ٢٨ عاملاً و١٢ من ذويهم. ووصل العدد الإجمالي للمعسكر ٣٢٦ فرد . الوضع في المخيم كان سيئاً للغاية، بحيث لم يكن هناك أي أسَرة أو مراتب. وكان الطلاب ينامون على بطانية، ويتدسرون بأخرى [٣٣١] .

غير أن الأسَرة ظهرت سريعا بعد تلك الحادثة الشيقة. يروي لنا هذه القصة أحد سكان هذا المخيم فيقول : "بمجرد وصول الطلاب الصغار إلى المخيم، قاموا بعمليات التنقيب حول المخيم. وعثروا في الصحراء علي مسافة إثنين كيلومترعلى بناء غريب عبارة عن أكياس من الرمال وصفائح معدنية، وبجوارها أيضا كومة من العلب الفارغة، على ما يبدو كانت تنكات بنزين. ولأننا لم نشاهد في حياتنا مطلقا مكان للرماية، لذلك إعتقدنا أن هذا البناء لا قيمة له. وفي غضون ساعتين لم يبق من موقع الرماية غير تل كالذي يكون فوق قبر قديم، فقد نقلنا كل شيء إلى المعسكر... وصنعنا منها أسَرة والآن لا داعي للخوف من العقارب والحشرات الهائمة، إلا أن سعادتنا هذه لم تدم طويلاً . ففي صباح اليوم التالي وصلت سرية إنجليزية إلى موقع الرماية، وبتتبع الإثر وصلت إلينا في المعسكر . وقد تعين علينا إعادة تلك الألواح الثقيلة من المعسكر إلى موقع الرماية، ولكن رُب ضارة نافعة، فسرعان ما تم إحضار أسَرة للجميع [٣٣٢] .

أعدَ الجنرال تشيرياتشوكين لتشجيع الطلاب علي الاهتمام بالمخيمات بشكل مثالى، جائزة دورية عبارة عن العلم الروسي ؛ ليكون جائزة من نصيب المخيم الأكثر نظافة وتنظيماً . وكان شرفاً عظيماً لكل طالب أن يقوم بتزيين المخيم الخاص به. وسرعان ما ساد النظام في المكان[٣٣٣] . كان الطلاب يأكلون بشكل جيد في المخيم. ويروي الطالب يوري جونتشاريف أن الطعام كان وفيراً "فقد كان هناك مشروبات متنوعة من القهوة والكاكاو والجبن والمربى. وكانت وجبات الغذاء والعشاء مشبعة للغاية" [٣٣٤]، وكان الطلبة بصرف النظر عن أعمارهم يحصلون على مؤونة غذائية كاملة كالتي تصرف للجندي الإنجليزي [٣٣٥] . كان لدى كل طالب بالمخيم أدوات المائدة الخاصة به من

٣٣١ أرشيف الخارجية الروسية، الملف رقم ٣١٧ ، المحفظة ٣/٣٢٠ ، وثيقة رقم ٨٢٠ ، السطر ٦ إلى ٨ .
٣٣٢ مذكرات طالب بفرقة الدون ، صـ ١٩٢ .
٣٣٣ المرجع السابق .
٣٣٤ جونتشاريف يوري ، المرجع السابق ، صـ ٢٠ .
٣٣٥ مذكرات طلاب فرقة الدون ، صـ ١٩١ .

زمزمية وسكين ، وملعقة ، وشوكة . كان كل طالب منهم يأخذ أدواته معه عند الطعام ، ثم يعود بها إلي مخيمه مرة أخرى[٣٣٦] .

حصل أعضاء الفرقة على الزي الرسمي الإنجليزي الأصفر اللون ، والخوذة ذات الوشاح الأحمر ، وقبعة بها ثقوب من الجوانب ، وقميص ، ورابطة عنق ، وسترة ، وملابس داخلية ، وبنطال وسروال وحذاء ، بالإضافة إلى أدوات خاصة لتنظيف الأزرار النحاسية[٣٣٧] .

جرت الدراسة في أكواخ من أعواد القصب ثم إنتظمت بشكل تدريجي ،بالرغم من نقص الكتب والمعلمين . ولم يكن النظام مثلما كان عليه الحال في نوفاتشركاس . وقد لفت انتباه ج.ب. تشيبوتاريف مساعد الجنرال تشيرياتشوكين وهو على متن السفينة " ساراتوف" ، تواجد لفائف من أوراق الطباعة فطلب من قبطان السفينة ، أن يمنحها للفيلق . وفي المخيم تم تصنيع كراسات وكشاكيل من تلك اللفائف الورقية[٣٣٨] . لكن حدثت مشكلة أدت إلى عرقلة عملية الدراسة وفق ما ذكره الجنرال تشيرياتشوكين : " لم يتم دفع الرواتب لأي شخص ، وبالتالي فقد كان من الصعب إجبار المعلمين والمربين على العمل "[٣٣٩] . ولم يقتصر الأمر علي العجز في الرواتب فحسب ، بل أضف إلى ذلك الوضع السيء والمناخ الحار ، وخاصة مستقبل المعلمين الغامض لم يكن ليشجعهم على استكمال عملية التدريس . يروي الطالب السابق سيتشينكوف : " كنا نذاكر بصعوبة بالغة بسبب حرارة الجو الذي لا يُطاق . وكان الكسل يخيم على الجميع بما فيهم المدرسين"[٣٤٠].

على الرغم من ذلك ، كان هناك طلاب متميزون بين أعضاء الفرقة . ففي مطلع عام ١٩٢٢ تلقى أربعين طالباً منهم خمسة طلاب من كل فصل ، منحة مدهشة لقضاء أسبوع كامل بالقاهرة . وأرسل تلك الدعوة قائد الفوج الإنجليزي الذي نُقل مؤخراً من الاسماعيلية إلى القاهرة . وكان الجيران القدامى يوفرون للطلاب المبيت والطعام في معسكرهم . ذهب الطلاب المتميزون لزيارة القلعة والأهرامات والمتحف المصري ، كما حضروا عرض " يفجيني أنيجين" في الأوبرا ، والذي قامت فرقة كييف الأوكرانية بتقديمه على مسرح الأوبرا المصرية[٣٤١] .

٣٣٦ المرجع السابق ، صـ ١٩٥ .
٣٣٧ المرجع السابق ، صـ ١٩٢ .
٣٣٨ المرجع السابق ، صـ ١٩٣ .
٣٣٩ أرشيف الخارجية الروسية، ملف رقم ٨١٧، محفظة رقم ٣/٨٢٠ ، وثيقة رقم ١٩٤، السطر ٩ .
٣٤٠ أطفال الهجرة الروسية ، صـ ٩٣ .
٣٤١ مذكرات فريق الدون ، من صـ ١٧٣ إلى صـ ١٧٤ .

يتذكر م. جيراسيموف : " لقد تركت الأهرامات والمتحف المصري انطباعات لا تُنس لديهم " ، وقام بشرح المعالم الأثرية ، عالم المصريات المهاجر جريجوري إيافنوفيتش لوكيانوف ، الذي كان يأتي قبل ذلك لمخيم فيلق الدون لإلقاء المحاضرات " [٣٤٢] .

استحوذت الرياضة على عقول الكثير من طلاب الفرقة . وكانت الأولوية لألعاب القوى ، والكرة الطائرة وكرة القدم . وكان يوجد في كل فصل فريق لكرة القدم. وكان منتخب المعسكر يعد من أفضل المنتخبات في الاسماعيلية كلها ، ودائماً ما كان يشارك في مباريات ودية مع المصريين ، والإنجليز، والفرنسيين، والهنود والماليزيين. ويتذكر بافل شتيين أحد الطلبة " إن فريقنا عادة ماكان يتغلب على الإنجليز والماليزيين ، ولكن الفريق العربي الأول لمدينة الاسماعيلية أصاب مرمى فرقتنا بثلاثة أهداف" [٣٤٣] .

لم ينس المعلمون التربية الدينية للطلاب ، حيث تم تجهيز واحدة من الثكنات الست الخاصة بالاحتياجات العامة لتتحول إلى كنيسة . وكان الطلاب هم من قاموا بتجميل وتزيين الكنيسة من الداخل[٣٤٤] . وكان يخدم بالكنيسة القسيس ديمتري ترويتسكي . وأنشأ الوصي ن.م.فيروشكين وهو قوقازي من الأورال كورالاً رائعاً ، حتى أنه كان يتجول به في فلسطين.

تشرف الكورال بأداء القداس في كنيسة " قبر الرب" ، والذي كان يخدم بها بطريرك القدس ، ويتذكر الطالب ن.فاروبييف : " أنه بعد الانتهاء من أداء القداس قام بطريرك الكنيسة بكسر قطعة من قبر الرب بمطرقة ذهبية خاصة ، وقدمها لممثل فيلقنا لكي يضعها في قاعدة أيقونة " [٣٤٥] .

عاش الطلاب الصغار في القدس داخل دير نسائي روسي ، في جبل الزيتون . وقبل مغادرتهم للدير تلقى كل عضو هدية من الراهبات الروسيات . كانت في الغالب عبارة عن وسائد مطرزة يدوياً . ويتذكر ن. فاروبييف : " لقد كان مجئ الكورال لهذا الدير حدثاً كبيراً بالنسبة للراهبات ، فقد تمكنوا من جديد من الاستماع إلى حديث يدور باللغة الروسية " [٣٤٦].

---

٣٤٢ المرجع السابق ، م.لوكيانوف أنظر فلاديمير بيلياكوف «نحو شواطئ النيل المقدس» ، من صـ ٢٢٠ إلى صـ٢٢٢ .

٣٤٣ أطفال الهجرة الروسية ، صـ ١٧٦ .

٣٤٤ مذكرات طلاب فرقة الدون ، صـ ١٨٦ .

٣٤٥ المرجع السابق ، صـ ١٩٧ .

٣٤٦ المرجع السابق ، صـ ١٢٦ .

في خريف ١٩٢١ أصبح لدى الطلاب جوقة موسيقية كبيرة تعزف الآلات النحاسية. فقد كانت البارجة "أوريل" التي أبحرت من الشرق الأقصى متجهة إلى بنزرت، حيث استقرت هناك بارجة البحر الأسود الحربية، التي لم تستسلم للجيش الأحمر، قد قامت بإلقاء مرساها في بحيرة التمساح. واستدعى القبطان الجنرال تشيرياتشوكين علي متن السفينة. وبعد أن علم أن الطلاب ليس لديهم أوركسترا، قام بإهدائهم الآلات الموسيقية الفائضة عن الحاجة الخاصة بالسفينة، وكانت غالبية الأدوات الموسيقية في حالة يُرثي لها. ولكن سرعان ما قاموا بإصلاحها في الاسماعيلية. واشتروا آلات المزمار والكلارينت من بورسعيد بمال، تبرع به أحد أثرياء الاسماعيلية[٣٤٧].

أصبح لدى الفرقة كذلك مسرح. وكانت أولى المسرحيات التي تم عرضها عليه هي مسرحية "الرومانسيون "لـ" ي.روستان"[٣٤٨].

لقد عاش الطلاب في المعسكر دون أن يكون هناك أي اتصال مباشر مع المصريين ويروي ن.فاروبييف أنه: "لم يكن لدينا أي اتصال بالسكان العرب سوى "عايد" ذلك الصبي العربي المسيحي البالغ من العمر ستة عشر عاماً، حيث كان يتعامل معنا بثقة ويتحدث قليلاً من الإنجليزية، ومن العجيب كنا نفهم بعضنا البعض"[٣٤٩].

كان يصدر في ذلك المخيم مجلة شهرية بخط اليد باسم "الدون في الغربة" بحجم ورق A4 ويتراوح عدد صفحاتها ما بين ١٨-٢٤ صفحة وكان يحررها كبار الطلاب، في البداية ف.عليموف ثم إي. إيجوروف. كانت المجلة تضم الأعمال الأدبية والإبداعية لمربي فيلق الطلاب، ولم تكن تتطرق للحديث عن نظام المعيشة في المخيم. وكانت الرسومات تصاحب القصص والقصائد الشعرية، وذكريات عن روسيا، وصور للضواحي المحيطة بالمخيم. وقد أشار المحرر في العدد السابع من المجلة إلى أن: "النصف الثاني من الصحيفة لم يتضمن الكثير من الرسومات؛ بسبب نقص الحبر الخاص بالطباعة". كما ورد في العدد الثالث من المجلة تلك الملحوظة: "رجاء إلى قراء المجلة توخي الحرص في التعامل مع المجلة، وبعد قراءتها داخل الخيام يرجى عدم تأخيرها وتمريرها إلى الطلاب الآخرين"[٣٥٠].

---

٣٤٧ المرجع السابق، صـ ١٧١.

٣٤٨ جونتشاروف .يو، المرسوم، صـ ٢١.

٣٤٩ مذكرات تلاميذ المدارس العسكرية بالدون، صـ ١٩٨.

٣٥٠ الأعداد رقم: ٢، ٤، ٦، ٧ من مجلة «أبناء الدون في الغربة» محفوظة في مكتبة الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية.

ويمكن التعرف على توجهات طلاب الفرقة من خلال مقطع من القصيدة الشعرية" في الغربة" .

روح روسيا تسود بيننا دائماً ...
وفي المساء حيث الهدوء والسكون
غناء الكورال صاخب ...
ولكنه يسير في تناغم جميل
وتصدح صدى روح قوقازية ...
وفي الليل يعود الهدوء سريعا للمخيم
وننسى أعباء اليوم في الأحلام
ودائماً ما نحلم بالوطن روسيا
وبالسهول والقرى بالوطن العزيز[٣٥١] .

علي أية حال ، نلاحظ عند قراءة الكثير من مذكرات الطلاب ، أثناء فترة وجودهم في مصر ( خاصة وأن معظم هذه المذكرات قد كُتبت بعد عامين من وصولهم الى أوروبا) أنه لم يكن لديهم مشاعر الحنين إلى الوطن ، فالدافع العام لدى الجميع يتمثل في أنهم يسبحون كل يوم في مياه قناة السويس ، ويلعبون كرة القدم ويتسلقون أشجار النخيل بحثاً عن البلح . وكانوا يعيشون حياة جيدة . ونسوق بعض الأمثلة من أبرز مشاهد الإقامة في مصر، التي بقيت في ذاكرة الطلاب .

قال بافل شتيين : " كنا في مصر نعيش في ظروف جيدة جداً ، غير أن حرارة الجو لم تكن تُطاق ، وكنا نسبح في مياه قناة السويس . أتذكر كيف كنا نخرج من الماء إلى شاطئ القناة ، ونتمرغ في الرمل ، ثم نذهب للبحر ( يقصد بها مياه قناة السويس – ف.بيلياكوف ) مرة أخرى للسباحة ، ثم نرتدي ملابسنا ونعود أدراجنا مرة أخرى للمخيم لتناول الغذاء والاستحمام ؛ لأن مياه البحر مالحة بطبيعتها . وعندما تقترب إحدى السُفن سرعان ما نسبح نحوها ، فيلقي ركابها النقود والبرتقال والعيش الأبيض . وذات مرة اقتربت من إحدى السُفن فقام أحد ركابها بإلقاء رغيف من العيش الأبيض نحوي فأمسكته ، ولم يقع في الماء . وكنا نسبح حتى نصل إلي الشاطئ الآخر من القنال .

٣٥١ مجلة «دونتس نا تشوجبيني» ، العدد الرابع ، صـ ٥ .

وكنا نجد هناك نقوداً قديمة جداً ، وكنتُ أحب اصطياد الأسماك هناك" [٣٥٢] .

أما سيتشنكوف (لم يُذكر اسمه الأول) فيقول : " كنا نذهب كل يوم للسباحة في قناة السويس ، ونصل إلى الجهة الآسيوية من القناة ، ونتمشى هناك ، ونقوم بتجميع الخراطيش.. وفي أحيان كثيرة كنا نعثر علي نقود[٣٥٣]. كنا نذهب يوم الأحد من كل أسبوع لصيد الأسماك ، ونقوم بشوائه في البرية ولكن إذا ما قُبض علينا فكانت الأمور تسير بشكل سيئ لأنهم لم يكونوا ليسمحوا لنا بذلك . كنا نذهب لجمع البلح وفي نفس الوقت كنا نخشى أن يمسكوا بنا ، فنكون في عداد المفقودين ، لأنهم يضربونك إلى درجه أنه بعدها لاتستطيع أن تجلس أو تستلقى على ظهرك . ذات مرة ذهب أحد طلاب فصلنا إلى مزرعة النخيل لكي يجمع البلح ، فأمسكوا به وقطعوا يده بالسكين وأوسعوه ضرباً مبرحاً لدرجة أنه وصل إلي المخيم بصعوبة بالغة . وعرف المعلمون بذلك ولم يعاقبوه ، فيكفي العقاب الذي ناله ، وبالرغم من ذلك فقد واصلنا الذهاب إلى هناك..." [٣٥٤] .

وقال ى . ت . كارولیف : " تم تنظيم مسابقة للغطس في أحد الأعياد الفرنسية[٣٥٥] شاركت فيها لأنني كنتُ أمارس تلك الهواية منذ زمن بعيد . وعندما دلفنا إلى المنزل ، وزعوا علينا سراويل قصيرة للغطس لأن أعدادنا كانت كبيرة . وعندما جاء دورنا في الغطس خرجنا إلى المرسى وغطسنا . للأسف كانت المياه هناك عكرة مما إضطرنى إلى الغطس وأنا مغمض العينين فارتطمت بأحد الأحجار . وكان المكان ضحلاً ومن أثر إرتطامي بالحجر كانت قدماي تظهر من المياه . كان ذلك بالقرب من الشاطئ ، وأخذ الجميع يضحك علي هذا الموقف وهو ما تنامى إلى علمي بعد ذلك . ولم يوقفنى ذلك من مواصلة الغطس مرة ثانية . وحصلت على المركز الثانى وتسلمت جائزة تقدر بنحو خمسين قرشاً (أي نصف جنيه إنجليزي) . ثم أخذونا إلي الجانب الآخر من المدينة في اتجاه المطار، حيث ركبنا الطائرات المتواجدة هناك "[٣٥٦] .

---

٣٥٢ أطفال الهجرة الروسية ، صـ ٧٦ .

٣٥٣ كانت تدور معارك حربية بين القوات البريطانية والتركية في شبه جزيرة سيناء في سنوات الحرب العالمية الأولى .

٣٥٤ أطفال الهجرة الروسية ، صـ ٩٦ .

٣٥٥ كان يوجد بالاسماعيلية المقر الإداري لشركة قناة السويس ومعظم العاملين بها من الفرنسيين .

٣٥٦ أطفال الهجرة الروسي ، صـ ٩٧ .

لكن يبدو أن الحنين للوطن يظهر هنا، لدى أحد أعضاء تلك الفرقة بشكل واضح، وهو طالب في الثامنة عشر من عمره كتب في مذكراته : " لقد تحقق حلمي المنشود أخيراً بالوصول إلي أفريقيا ـ ولكن هل كان راضياً عن ذلك أم لا ؟ سترى عزيزي القاريء بنفسك، لقد كنا نعيش في الحزام المعتدل من الكرة الأرضية ثم انتقلنا إلى الحزام الاستوائي . في البداية كنا سعداء بالحرارة التي كانت تصل إلى أربعين درجة مئوية وإستمتعنا كذلك بالحقول الخضراء الإستوائية . غير أن نمط الحياة غير المتغيّر وحرارة الجو ورمال الصحراء قد دفعتنا نحو الحنين بإخلاص للوطن روسيا بحقولها ومروجها الفسيحة الغناء وأهلها المغامرين ، الأمر الذي نفتقده هنا . حيث أتذكر في كل خطوة أخطوها تغريد الطيور في حديقتنا . فمن الطبيعي إذن ، أن يشعر أي إنسان كان يعيش حراً طليقاً وسط المروج والسهول ، ثم ينتقل فجأة إلي الصحراء البرية ، بالملل والمعاناة ويتذكر الماضي" [٣٥٧] .

في الثاني والعشرين من فبراير ١٩٢٢ منحت بريطانيا الاستقلال الرسمي لمصر . وعلى أثر ذلك صوّت البرلمان البريطاني على وقف تمويل معسكر اللاجئين الروس في مصر من مطلع يوليو ( المعسكر الرئيس كان يوجد في سيدي بشر بالإسكندرية ) وعلم الطلاب أنهم سرعان ما سيغادرون الأراضي المصرية . يتذكر يوري جوتشاروف : " أن هذا القرار سبب لديهم حالة من الارتباك والذهول في نفس الوقت ، خاصة وأن مصر أضحت بمثابة الوطن الأم بالنسبة لهؤلاء الطلاب" [٣٥٨]. تم إرسال الطلاب الصغار للإلتحاق " بالمدرسة الروسية" التي أنشأها الإنجليز في مدينة بيوك دير القريبة من إسطنبول ، والتي كانت مقراً سابقا للسفارة الروسية خارج المدينة . وتم إرسال باقي الفريق إلى مدينة فارنا البلغارية . و هناك بشهادة الطلاب انهار تماما فيلق طلاب الدون . وظل قسماً من طلاب الفيلق في بلغاريا ، وأرسل الباقي إلى التشيك ، وتحديداً إلى مدرسة شومن الروسية الثانوية [٣٥٩]. وفي هذه المدرسة كتب الطلاب الروس مذكراتهم في الفترة فيما بين عامَي ١٩٢٣ـ ١٩٢٤ ، التي نُشرت في كتاب "أطفال الهجرة الروسية".

٣٥٧ المرجع السابق ، صـ ٣٧٨ .
٣٥٨ المرجع السابق ، صـ ٢٢ .
٣٥٩ المرجع السابق ، صـ ٣٧٢ .

صـــورة لطلاب المـــدارس العسكريـــة